أمارابك: *مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا* www.amarabac com
المجلد السادس، العدد السادس عشر (2015). ص ص 21-34

دراسة سوسيو-تحليلية للاضطرابات النفسية والسلوكية لدى المراهق: دراسة حالة

أنيسة بريغت عسوس (*)

الملخص: من الواضح أن الصعوبات الاقتصادية - الاجتماعية التي تواجه المجتمع الجزائري في المدن الحضرية منذ الثمانينات تهيئ المناخ المشجع لإهمال الوالدين في التربية والعناية بالأطفال بصفة عامة والمراهقين بصفة خاصة، الأمر الذي يؤدي إلى انحراف سلوكهم في ظل ضعف الرقابة واللامبالاة وضعف الضبط الاجتماعي. ومن جهة أخرى، فإن وجود تناقضات في نظام القيم والمعايير الاجتماعية المتمثلة في ترعرع الطفل في جو متسلط يغيب فيه مبدأ الحوار الهادئ وتأثير الثقافة السائدة في المجتمع الذي يسمح بالتشدد في التعامل مع الأطفال واستخدام العقاب المعنوي والجسدي يساعد على إحداث اضطراب في نفس الطفل وسلوكه. وتكون نتيجة ذلك الانعزالية والاغتراب وفقدان الثقة بالذات إلى حد الانفعال الحاد والعدوانية. ففي هذا البحث، نسعى إلى فهم دينامية ما يحدث للطفل في المراحل الأولى من نموّه قصد كشف النقاب عن العوامل والأسباب المؤدية إلى اضطرابه نفسيا وسلوكيا، وكذلك تسليط الضوء على مدى تأثير الحالات النفسية والسلوكية المرضية على شخصيته في سن المراهقة والرشد.

الكلمات المفتاحية: الاضطراب النفسي والسلوكي، السلوك، العنف، الشخصية.

A socio-analytical study of the psychological and behavioral disorders observed in adolescents: Case study

Anissa Brighet Assous

Abstract: The socio-economic problems that the city - dwellers face as well as the socio – economic, cultural and environmental changes that followed modernization, urbanization and globalization in Algeria, affected the family in its structure and function, and reduced the social cohesion of its members as well. This article focuses mainly on the psycho sociological factors that could explain the phenomenon of psychological and behavioral disorders observed in adolescents. As such, it emphasizes the devastating consequences that physical or moral parental abuse has on the personality development and behavior of their adolescents. Many theories and empirical works on the subject have shown that children of violence suffer psychological problems which lead to the distortion of their own view of themselves and others around them. As well, theories have also proven that, although, abused children have learned how painful and frustrating abuse is, they nevertheless internalize it as an effective tool.

Key words: Psychological and behavioral disorders – behavior – violence - Personality.

(*) أستاذة محاضرة، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار، -عنابة، anissaassous@yahoo.com

مقدمة:

ما دامت النفس هي إحدى مركبات الأطفال فإنها معرضة كسائر مركباته لمختلف العلل والإصابات والأمراض والاضطرابات النفسية والسلوكية التي هي وليدة مؤثرات خارجية وعوامل مختلفة. حيث أكدت العديد من الدراسات والبحوث الميدانية أن هناك علاقة قوية بين الأشكال المتنوعة للاضطراب النفسي والسلوكي الحاد والمعقد في سن البلوغ والعوامل الحيوية والنفسية والإجتماعية، كتعرض الأطفال للاعتداء (الجسدي أو المعنوي) خلال السنوات الأولى من النمو (P.M Lewinsoha, 1974; A.T Becker & al, 1988; E.H Xasem, 1990; R.A Baron, 1998; Biederman & al, 2001; E.C Klohnen & al, 2003…).

ففي هذا البحث، نحاول الكشف عن الأسباب والعوامل التي تؤدي إلى نشأة الاضطرابات النفسية والسلوكية لدى الطفل وكذلك تسليط الضوء على مدى تأثير هذه الحالات النفسية والسلوكية المرضية على شخصيته في سن المراهقة والرشد .

إشكالية البحث

يلجأ الكثير من الآباء في تربية الطفل خلال السنوات الأولى من عمره إلى التقويم من جهة والنهي من جهة أخرى، والضرب كوسيلة ثالثة إن استدعى الأمر ذلك حتى يضمنوا استقامته متجاهلين ضرر هذا الأسلوب على نمو شخصيته، ناهيك عن تسببهم في خلق جيل يتصف بالعنف.

كما يلاحظ الوالدان أو المعلمون أو أبناء الجيران بعض التغييرات في مزاج وسلوك الطفل في السنوات الأولى من سن المراهقة، كإصابته بعناد زائد وعدوانية مع إخوانه وأخواته في البيت وعدم التكيف والتفاعل داخل أو خارج القسم أو شرود الذهن وعدم التركيز أثناء الدروس عامة وإهمال الواجبات المدرسية أو إظهار سلوكات عنيفة مع معلميه أو أقرانه أو مراقبيه في المدرسة. وهذه الاضطرابات النفسية والسلوكية التي ترتبط بمراحل الطفولة والمراهقة، تتطلب تشخيصا وعلاجا وتضافر جهود كل من الطبيب النفسي ومستشار التربية وولي الطفل ومعلميه.

حيث أوضحت نتائج الدراسات والبحوث الميدانية في مجالات التنشئة الاجتماعية وعلم النفس المرضي وعلم نفس الشواذ دور مشكلات الطفل في الصغر في نشأة الاضطرابات النفسية والانحرافات السلوكية في مراحل مراهقته ورشده (Gelles Richard J, 1972; P.M Lewinsoha, 1974: Dorothev Dean. 1979: Cassem E. H. 1990; Katherine Schlaerth, 1994; Barlow D. H & Durand, 1995; E.C. (Klohnen & al, 2003; John W. Santrock, 2003…).

وبناء على ما سبق ونظرا لانتشار ظاهرة العنف في المجتمع الجزائري عامة وسوء معاملة الأطفال على وجه الخصوص، فإنه من الأهمية بمكان تسليط الضوء على العوامل والأسباب التي تؤدي إلى خلق اضطرابات في نفس وسلوك المراهق ونمو شخصيته.

وفي سعينا لمناقشة هذا الموضوع، يجدر بنا التطرق إلى تحديد المفاهيم الأساسية للدراسة والمنهج المستخدم ومجتمع الدراسة ونتعرض إلى أهم النظريات والدراسات المفسرة للاضطرابات النفسية والسلوكية. كما نلخص بعض الحالات التي تعرضت للأذى الجسدي والمعنوي ونناقش أهم النتائج التي تبين مدى انعكاس تلك الممارسات العنيفة على نفس وسلوك الطفل ونمو شخصيته.

تحديد المفاهيم الأساسية، المنهج المستخدم ومجتمع الدراسة

مفهوم علم النفس:

يفيد التحليل اللغوي لكلمة علم النفس (Psychology)، بأنها مكونة من مقطعين Ology وPsyche. وكلمة Psyche تحمل ثلاث معان هي الروح Spirit or Soul، والعقل البشري Human mind وتوظيف العقل Mind functioning. وبينما تمثل الروح العناصر الخالدة في

الفرد تارة والطبيعة العقلية أو الأخلاقية أو الانفعالية للفرد تارة أخرى، فإن كلمة Ology، تعني الدراسة العلمية(1).

تختلف آراء العلماء اختلافاً كبيراً حول مصطلح علم النفس. حيث يرجع التعريف الأكثر شيوعا، للعالم إيزنك (Eysenck, 2001) الذي يقول بأن علم النفس هو: "الدراسة العلمية للسلوك". بينما يرى البعض أن علم النفس هو: " دراسة الإنسان دراسة علمية تستند إلى التجارب والملاحظات الدقيقة لتصرفاته وسلوكه" 2).

فمن جهة، يعرف يوسف مراد هذا المصطلح بأنه: "العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن حي يرغب... ويحس... ويدرك... وينفعل... ويتذكر... ويتعلم... ويتخيل... ويفكر... ويعبر... ويريد... ويفعل(3).

ويعرفه الباحث جاريت (1950) H. E Garrett, بأنه: "الجهد الذي يبذله العالم في سبيل إقامة منهج علمي دقيق لجمع بيانات ومعلومات وصياغة قوانين عن السلوك الإنساني الحركي والفعلي على حد سواء" (4). بينما يقول هليجاردE. Hilgard (1990)، بأن السلوك هو: "علم يدرس سلوك الكائن الحي وخبرته" (نفس المرجع)؛ حيث يعتبر محمد عودة الريماوى السلوك بأنه: "الأفعال الملاحظة للفرد أو الجماعة" (5).

ومن جهة أخرى، فإن علم النفس حسب Baron (1998) هو:"علم أكثر من مجرد جمع الحقائق الهامة. إنه يزودك بطريقة جديدة للتفكير في مشاعرك وأفكارك وأفعالك، إضافة إلى مشاعر وأفكار وأفعال الآخرين"(6) .

وبينما يربط N. Mann (1996) بين الإنسان وبيئته قائلا بأن علم النفس هو: "العلم الذي يهتم ويدرس عمليات التوافق العامة Adjustmentللكائن في بيئته" (7)، فإن وودورث (1992) Woodworth R. Sيعتبره: "العلم الذي يمكننا من استخدام المعطيات السلوكية من فهم العمليات الداخلية التي تقود الناس أو أفراد الكائنات الحية الأخرى ليتصرفوا بالطريقة التي تصرفوا بها" (8).

في الواقع، توجد اتجاهات مختلفة في النظر إلى الإنسان. فبينما يرى أصحاب الاتجاه الإنساني Humanistic approach (نيتشهF. Nietzsche (1977)، كيركيجارد S. Kierkegaard (1943) وسارترJ. P Sartre (1945) أن الإنسان: "يختار بإرادته الحرة ويقرر أفعاله، وبالتالي فهو مسؤول عنها، ولا يستطيع إزاء أفعاله أن يلوم البيئة أو أباه أو الظروف المحيطة به" (9).

يدرس علماء النفس المنشغلون في ميدان علم النفس الاجتماعي والشخصية: "علاقات الفرد الاجتماعية وتأثير سلوكه بالعوامل الاجتماعية المختلفة، كما يعالج تأثير الآباء والإخوة ورفاق اللعب وزملاء الدراسة على شخصية الفرد وعلى سلوكه واتجاهاته" (10).

أما أصحاب الاتجاه السلوكي Behavioral approach، فهم يحاولون: "تفسير سلوك الفرد عن طريق ما يجري خارج الجسم من أحداث بيئية" (11). حيث كان واطسن J. Watson (1913)، عالم النفس الأمريكي، أول من اختلف مع أصحاب الاتجاه العصبي البيولوجي Neurobiological Approach، الذين ركزوا اهتمامهم حول أفعال الفرد الباطنية بقوله أن: "السلوك الظاهر هو الذي يجب أن يهتم به عالم النفس بدل اهتمامه بأفعال الإنسان الداخلية" (12).

أما علماء النفس التطوري Developmental psychology فهم يهتمون: "بظاهرة سلوكية معينة أو فترة نمو الفرد بحد ذاتها لمعرفة خصائصها النمائية" (13).

وبناء على ما سبق، يمكن أن نستخلص من التعريفات السابقة والاتجاهات المختلفة، أن علم النفس هو العلم الذي يدرس السلوك والخبرة الإنسانية مركزا أساسا على دراسة السلوك الظاهر من خلال الفهم Understanding والضبطControl والتنبؤ Prediction.

مفهوم الاضطراب النفسي:

يدعى اضطراب النفس تركيبة الشخصية الحادة التي تفتقد إلى الليونة أو أن صاحبها يعاني من الاضطراب النفسي. فالاضطراب النفسي إذن هو ذلك النوع من العلة الذي يُصيبُ الفرد نفسَه. وما دام الاضطراب أو المرض النفسي يصيب النفس، فهو يُظهر الشخص في صورة شاذة غير مألوفة تتغَير معها طَباعُه وعاداتُه فيُصيبُه قلقٌ أو حزنٌ أو خوفٌ شديدٌ.

إن الأمراض النفسية (العُصابية)، هي تلك الأمراض التي تؤثر في شخصية الفرد تأثيرا يظهرُ أثرُهُ في نشاطه الحيوي، وقد تظهر أحيانا بعض عوارضَها على شكل تغيُر في طريقته المعيشية أو طريقة احتكاكه بغيره من الكائنات الحية، وهي نتيجة لتغيُر جُزئي أو كلي في نفسية الطفل التي هي القُوى الخفية فيه (14).

الفرق بين الاضطراب النفسي والاضطراب العقلي:

أن الاضطرابات النفسية والعقلية متقاربة والفوارق بينهما هي أنه في حالة الأمراض أو الإضرابات النفسية (العُصابية)، نجد الطفل لا يزال محتفظاً بشخصيته"؛ يعرفُ ما يحيط به، له ذاكرة وتفكير سليمين، يشعر بحالته المرضية ويسعى للبحث عن علاج يخلِّصه منها. أما مريض العقل (الذُهاني)، فهو على النقيض لا يحتفظ بشخصيته ويظهر في هيئات مختلفة لشخصية واحدة، جاهلا ما يحيط به وتتأثر ذاكرتُه ويتغير تفكيرُهُ، معتَل الإحساس والشعور؛ يضحك ويبكي بدون سبب قد يسيء إلى نفسه أو أقرب الناس إليه ولا يشعر بخطورة مرضه ولا يسعى للعلاج.

كما أن الطفل المضطرب نفسيا الذي يشكو من أن تنقلب حالتُهُ إلى حالة عقلية لن يصاب باضطراب عقلي، لكنه يُصاب بحالة قلق شديد يسمى بالحَصَر النفسيAnxiety Neurosis (15).

مفهوم العنف:

يعرف (Richard J. Gelles, Murray and A. Strauss, 1979: 554) العنف بأنه، ذلك الفعل الذي يقوم به الإنسان بقصد إيقاع الألم الجسدي بشخص آخر. ويشمل الألم الجسدي الخفيف، مثل ما يحدث في الصفع غير المؤدي إلى القتل. ويرجع سبب وجود قصد إحداث الألم إلى وجود عوامل كثيرة تمتد إلى القلق على أمن الطفل (عندما يُضرب لخروجه عن الطريق)، مما يجعل هذا الأخير يحمل الشعور بالحقد نحو الآخر. حيث يحتوي التعريف على العناصر التالية: الفعل- القصد- الألم الجسدي. من الواضح أن هذا التعريف يركز على الألم الجسدي متجاهلا الآثار الأخرى التي قد يحدثها الفعل. ولا تقتصر صورة العنف على الضرب والأذى الجسدي فقط، بل هناك صور عديدة للعنف تؤدي إلى النتيجة ذاتها المتمثلة في:

أولا: زعزعة أمن الأسرة وتهديد استقرارها.

ثانيا: إلحاق الضرر النفسي والجسدي بالطفل. ويتخذ هذا الضرر أشكالا عدة منها ((Dollard & al.,1939; Freud, 1940; Miller, 1941; Berkowitz, 1962; Bandura, 1971; Kaplan,1972; Farrington, 1975):

- **العنف الجسدي**: ويتمثل في الضرب المبرح والمتكرر لأتفه الأسباب دون مراعاة أي من الجوانب الشرعية أو الإنسانية.
- **العنف النفسي**: ويكون ذلك بممارسة ضغوط نفسية والسب والشتم والإهانة والتحقير الدائمين، أو الحرمان من المصروف اليومي واقتناء الأشياء الضرورية.
- **العنف العاطفي**: ويتمثل في تصحر المشاعر وجفاف العواطف والقسوة في المعاملة في مواضع المحبة والتعاطف والحرمان من الكلمة الطيبة والعشرة اللطيفة.

- **العنف التعسفي**: ويحدث ذلك بالمنع من الحقوق والحاجات كالحرمان من المصروف اليومي وزيارة الأصدقاء لاسيما أبناء الجيران، أو المنع من الخروج من البيت واللعب مع جماعة الرفاق، أو الحرمان من الوظيفة أو الدراسة، أو بالاستيلاء على راتب الطفل العامل.
- **العنف غير المباشر على الطفل**: حيث يتم استخدام العنف كذلك، بطريقة غير مباشرة على الطفل عن طريق إثارة الذعر والخوف في كل أرجاء المنزل بالصراخ والغضب والتهديد لأتفه الأسباب، وبتحطيم الأواني أو بضرب الطفل على مرأى ومسمع من الضيوف أو الجيران أو الأشخاص الغرباء بهدف استفزازه وإثارته.

مفهوم الشخصية:

تعرف الشخصية عند أجبرت وينكوف (O. Winkoff) على أنها "التكامل النفسي والاجتماعي للسلوك عند الكائن الإنساني الذي تعبر عنه عادات الفعل والشعور والاتجاهات والآراء والقيم. وتشتمل أيضا على كل نواحي السلوك"(16). أما عند لند برج (Lundburg)، فتشير الشخصية إلى "العادات والاتجاهات والسمات الاجتماعية الأخرى التي تميز سلوك فرد معين وكذلك تدل الشخصية على أنساق السلوك التي تكتسب من خلال عمليات التعلم والتفاعل الاجتماعي" (17). وتشير السمات في هذا السياق، إلى تعبيرات ظاهرة كالعدوانية أو الغضب أو الحزن أو تعبيرات سطحية كاحمرار وجه الطفل أو غلقه الباب بقوة عند وجوده في موقف ما للتعبير عن استعداده للاستجابة بشعور ما.

مفهوم السلوك:

يعنى السلوك Behavior في بحثنا، كل ما يقوم به الطفل من ردود أفعال ناشئة عن تأثير متبادل بينه وبين بيئته. ويتضمن الأفعال الجسمانية الظاهرة كالتمرد مثلا والعصيان والبكاء والصراخ والأفعال الباطنية كالشعور بالاكتئاب والإحباط والرغبة في الانتقام (عدس وتوق، 1997). ولا تكفى الإشارة إلى التأثيرات البيئية لتفسير سلوكنا تفسيراً كاملاً، فكل فرد يكون مزودا بخصائص مختلفة تؤثر في كيفية سلوكه. وكما رأينا، فإن السلوك يعتبر جزءا لا يتجزأ من الشخصية.

المنهج المستخدم ومجتمع الدراسة:

نظرا لكون موضوع الدراسة المطروح هنا يتناول قضية اجتماعية ملحوظة، فإن ذلك يفرض استخدام دراسة الحالة كأداة ومنهج. حيث تعتبر أنسب الطرق لمعالجة هذا الموضوع. وبما أن موضوع الدراسة يدور حول "الاضطرابات النفسية والسلوكية"، فإن مجتمع الدراسة أشتمل على عينة من ذكور إناث السنة أولى وثانية ثانوي الذين يقطنون بمدينة عنابة ويعانون من مشكلات الاضطرابات النفسية والانحرافات السلوكية. بعد تحديد المفاهيم الأساسية التي تضمنها البحث وكذا المنهج المستخدم ومجتمع الدراسة، سنعرج على بعض المداخل النظرية والدراسات التطبيقية التحليلية، التي تناولت موضوع الاضطرابات النفسية والسلوكية لدى الأطفال عامة والمراهقين على وجه الخصوص.

المقاربات النظرية والدراسات ذات العلاقة بالاضطرابات النفسية والسلوكية

المقاربات النظرية:

1. **نظرية التحليل النفسي: Psychoanalysis Theory:** لقد ازداد توجّه اهتمام الباحثين والمختصين في مجال تربية الأطفال والاعتناء بصحتهم الجسدية والنفسية وإمكانية إصابتهم بعلل واضطرابات نفسية وسلوكية، نتيجة النظريات والدراسات التحليلية والتطبيقية التي أطلقها "سيغموند فرويد"Sigmund Freud، وأتباعه مثل "أدلرAlfred Adler" و"يونغ Carl Gustav Jung". حيث طور Sigmund Freud, (1940) طريقه لمعالجة الاضطرابات الوجدانية سُميت بالتحليل النفسي Psychoanalysis. وتعتمد هذه الطريقة على الافتراض الذي مفاده أن معظم السلوك البشري يتأثر بدوافع لا يكون الفرد واعا بها. فمن جهة، يرى فرويد أن الأحداث الممارسة خلال فترة الطفولة يكون لها تأثيرا عميقا على الطفل بعد بلوغه. وتماشيا مع ذلك، قسم فرويد الشخصية إلى ثلاثة أجزاء. اللاشعور (ID) والأنا (Ego) والأنا الأعلى (Superego). ويتعلق اللاشعور بالدوافع الجنسية والعدوانية التي أطلق عليها فرويد اسم الغرائز (Instincts). حيث يهتم اللاشعور بإشباع الحاجات الملحة مثل اللذة وتجنب الألم. أما "الأنا" فيتكون لكبح نزوات اللاشعور (Sentiment Impulses). وفي الوقت الذي يبنى فيه اللاشعور على اللذة، فإن الأنا ينبني على الواقع. أي أن الأنا يؤثر على اللاشعور ويساعده على التكيف مع مطالب الواقع. أما الأنا الأعلى(Superego) فهو ذلك الجزء من الشخصية الذي يتعلق بأتباع السلوك المناسب والصحيح، ويهدف إلى المدح والتمجيد. فهو يشبه مفهوم الضمير ويجعل الطفل يحس بالذنب وتأنيب الضمير عندما يقوم بسلوك غير مقبول. ويكون الأنا دائما في وضع يحافظ على التوازن بين الحاجات التي تبحث عن اللذة في اللاشعور وأوامر أمتثال السلوك الصادرة عن الأنا الأعلى. وبما أن إمكانية تقدير صحة الطفل النفسية تتطلب الإحاطة التامة بسلوكه ومظاهر حياته الفكرية والعاطفية والأسرية والاجتماعية، وبما أن البحث في الاضطرابات النفسية وعملية التطبّع السلوكي تبدأ من الطفولة، فقد حصر فرويد اهتمامه بتشخيص وتقدير العوامل المؤثرة في الكيان النفسي عامة (كالذكاء والخيال والذاكرة والأحاسيس والإرادة والطموح...) والحياة النفسية لدى الطفل من مرحلة الطفولة حتى سن البلوغ. ومن ناحية أخرى، فإن فرويد في حديثه عن التنشئة الاجتماعية يقول أن عملية التدريب مهمة إلى درجة كبيرة بالنسبة للأطفال وأن لتعرضهم لمعاملة مرنة أو معاملة قاسية آثارا على شخصية الأطفال. وأن النمو الأخلاقي لا يمكن فصله عن نمو الشخصية بصفة عامة، بل يمكن اعتباره أساس نمو الشخصية في حد ذاته. وعلى الرغم من رفض العلماء المعاصرين للعديد من أفكار فرويد، فإن مساهمته بالنسبة لتطور علم النفس معتبرة (S. Freud, 1940; Glueck & Glueck, 1950; C.H. Cooley, 1956; Peck & Havighurst, 1960; Hertherington & Brackbill, 1963...).

2. **نظرية نمو الشخصية: Personality Development Theory:** في الوقت الذي يعزو فيه الكثير من العلماء تطور هذه النظرية إلى فرويد، فإن نظرية نمو الشخصية عند Eric (Erickson) انطلقت من المنظور الفرويدي (الذي هو أستاذه). ولكنه رفض التركيز على الجانب النفسي الجنسي (psychosexual emphasis) الذي ربطه فرويد بنمو شخصية الطفل من خلال مناقشته لعقدة أوديب (Oedipuscomplex). كما رفض Erickson فكرة فرويد التي مفادها، أن الأزمات إذا لم تحل فإنها تؤدي إلى مشكلات عُصبية. لقد أهتم Erickson بالأزمات ذات العلاقة بالجانب الاجتماعي (Social) بدلا من الجانب الجنسي (Sexual). حيث طور ثمانية مراحل تبرز النمو العاطفي للطفل الذي يمتد من الولادة إلى سن الرشد Erickson (1950) مفترضا وجود سلسلة من الصراعات النفسية التي تنشأ خلال مراحل التفاعل الاجتماعي بين الطفل الذي هو بصدد النمو والأفراد الموجودين من حوله (1963). حيث يرى أن التفاعلات الاجتماعية المبكرة للطفل تكون مُنصبة على الحصول على العناية من قبل الأم. كما يرى Erickson أن التنشئة الاجتماعية وعملية تكوُن الشخصية عند

الطفل يمتدان من لحظة الولادة حتى سن الرشد. في حين أن فرويد يحدد نمو الشخصية من فترة الولادة إلى النضج الجنسي. كما يربط Erickson (1959) مفهوم الذات مع نوعية عملية التنشئة الاجتماعية. بمعنى أن الطفل يكون فكرة حول الصورة الحقيقية التي يكوِّنها الآخرون حوله، وذلك من خلال تفاعله اليومي مع أعضاء المجتمع. ومن ثم، فإن هذه الصورة تساعده في عملية بناء صورة حول نفسه. فإذا عامله الآخرون باهتمام قوي وعطف، فإنه يشعر بنفسه كفرد محبوب وجذاب وشخص مهم. وبانتباهه (Being attentive) لما يعتقد الآخرون بخصوصه، فإنه يكون الحكم القيمي الضروري لتوجيهه الذاتي. وعندما يكبر يصبح واعياً بأن هذه الشخصية المختلفة تميزه عن الآخرين. وعلى العموم، فإن الطفل لا يحس بأنه مندمج اجتماعياً أو مرفوض فقط، ولكنه يصبح كذلك قادراً على التمييز بين الثناء واللوم (18). وبناء على ما سبق، يمكن القول بأن هذه المواقف المعممة التي جاء بها علماء النفس الاجتماعي قد تم تقديمها على شكل اعتقادات فلسفية بدلاً من تقديمها على شكل قضايا قائمة تُعبر عن واقع قابل للاختبار. فعلى سبيل المثال، لا يقدم Erickson أية دليل بأن الأفراد يواجهون واجبات موحدة خلال مراحل مختلفة من حياتهم. كما أنه لا يواجه بالتحديد الافتراضات التي مُؤداها لماذا يستجيب الشخص لهذه التحديات المفترضة بطريقة أو بأخرى(19).

3. **نظرية التعلم الاجتماعي: Social Learning Theory**: في وصفه لنمو الشخصية البشرية، لاحظ Charles Horton Cooley بأن الأطفال الصغار في معاملتهم مع هؤلاء الكبار سواء كانوا أمهات أو أباء أو معلمين، كانوا يقلدون بعناية فائقة كل جوانب السلوك الذي يمارسه الآخرون. كما أنه تيقن بأنه، إذا كان الأطفال يعتقدون أن الآخرين يجدونهم أذكياء (Bright) ويقظين، فإنهم يشعرون بالاعتزاز. أما إذا كانوا يظنون بأن الآخرين يجدونهم غير بارعين (Clumsy) وبطيئي التعلم، فإنهم يشعرون بالخجل. حيث يؤول الأطفال الاستجابات نحوهم ويستعملونها لتكوين الشعور حول أنفسهم. إن العملية المسماة (The looking-glass process) التي تبدأ أثناء الطفولة تستمر طيلة حياة الأطفال. حيث يعتقد Cooley، بأنه من دون عملية التفاعل هذه، فإن عملية الشعور بالذات تكون غير ممكنة(20). ففي الوقت الذي تؤكد فيه بعض الدراسات بأن شعور الطفل بالانتماء والأمن وقبوله من قبل المجتمع وكذلك التربية الحسنة هي بمثابة عوامل مهمة بالنسبة لنمو شخصيته ونموه البيولوجي (Erickson 1959; Harlow 1978)، فإن دراسات أخرى بينت، بأن تجاربه العاطفية والإساءة له فيزيقياً أثناء طفولته لها آثار سلبية على الناحية الاجتماعية لشخصيته ونموه بصفة عامة (Mac Coby & levy, 1957; Maslow, 1977; Sullivan, 1978...). وعندما يكون الطفل بصدد النمو، فإن تفاعله مع الآخرين يساعده على امتصاص اتجاهات وقيم أفراد الجماعة التي يتفاعل معها. وهنا تبلغ الذات نموها الكامل في نفس الوقت الذي تصبح فيه اتجاهات المجتمع الصغير جزءا من شخصيته حيث يقوم بتوجيه تصرفاته ويرشد سلوكه ((1967 Coser, L. A. وعلى عكس تنبؤات علماء النفس، فإن A. Bandura (1973) يفرق بين الطرق التي من خلالها يتعلم الطفل الأفعال الأخلاقية، وكذلك الأسباب التي تجعل الأفراد يقومون بهذه الأفعال نتيجة لذلك. ويمكن تلخيص حجة Bandura، في كون الطفل يتعلم ما هو مثاب عليه وما هو معاقب عليه وتكون أفعاله المستقبلية مسيرة من خلال توقعاته للثواب أو العقاب. وفي حقيقة الأمر، فإن معظم ما يتعلم فعله، يكون عن طريق مشاهدة الآخرين وملاحظة نتائج أفعالهم. كما أن الأطفال يختلفون بالنسبة للدرجة التي تمكنهم من التعلم من نموذج ما(21). وأخيراً يمكن القول أنه، في الوقت الذي تشرح فيه نظرية التعلم الاجتماعي كيف يتعلم الفرد الأفعال الأخلاقية، فإن نظرية الشخصية تبحث في ماذا يتعلم الفرد خلال فترة تربيته الأخلاقية. كما أن نظرية عملية التعلم الاجتماعي تهتم بصفة أساسية بالعملية في حد ذاتها. بينما نظرية الشخصية تبحث في المحتوى وبذلك تكونان مكملتين لبعضهما.

4. **نظرية النمو العقلي: Mental Development Theory:** بالنسبة لعلماء الاجتماع، فإن قيمة عمل بياجي Piagetفي مجال النمو العقلي، تكمن في تركيزه على التفاعل الاجتماعي كأساس لاكتساب المواقف والاتجاهات الأخلاقية، إلا أن عملية التنشئة ليست دائما ناجحة بصفة تامة. حيث أن كل الأفراد يظهرون اختلافات مزاجية ابتداء من وقت الولادة، وكل فرد يتعلم من أوضاع معينة بطريقته الخاصة. وتكون نتيجة ذلك، عددا لا متناه من النماذج الشخصية بين مجموعة الأفراد المتفاعلين الذين يتكون منهم المجتمع. وخلال الثلاثين سنة من القرن الماضي، فإن العلماء الاجتماعيين درسوا النمو الأخلاقي من خلال الاعتماد على عمليات جرد المعلومات المتعلقة بالقواعد الأخلاقية المتعلقة بالأطفال (Ethical Rules). وبعد 1930 عُرف التعلم بأنه، تغير في السلوك بعد التعرض لتجربة أو خبرة. فإذا تصرف الطفل طبقا للقواعد الأخلاقية لجماعته، فإن التعلم الأخلاقي يكون قد حدث بالضرورة. وتنحصر المشكلة في كيفية تحليل العمليات والميكانيزمات التي من خلالها يتعلم الطفل كيف يتصرف أخلاقيا وكيف يستمر في فعل ذلك مع مرور الوقت. وفي الواقع، فإن منظري التعلم لا يفرقون بين السلوك الأخلاقي وأي نوع آخر من السلوك (Hartshorne and May; Bandura, Mitchell, Baumrind & Others …).

5. **نظرية التطور الاجتماعي: Social Progress Theory:** من وجهة نظر التطورية الاجتماعية، إن استقلالية الطفل تعني الانصياع الذاتي للقواعد وقيم ثقافة الفرد بغض النظر عن آمال السلطات والرفاق. وتماشياً مع ذلك، فإن الاستقلالية يكمن بلوغها في المراهقة من خلال دمج (Incorporation) الدروس المستقاة من التجربة الاجتماعية السابقة في أيديولوجية أخلاق دينية، سياسية، إنسانية أو علمية ذات نظره عالمية. وبمعنى أدق حسب Diana Baumrind (1971)، يبدو أن الاستقلالية تنتج عن الوالدين اللذين يتصفان بالدفء والشدة (سلطويين) واللذين يمثلان كذلك نماذج ناضجة من الاستقلالية. وفي الواقع، فإنه على الرغم من وجود اختلافات فردية بين الأطفال، فإن عملية التنشئة تشمل (Involves) عملية إدماج الطفل في ثقافة لها متطلبات محددة عليه وتوقعات محددة من قبل الطفل. وعليه، فإن الأسرة تنجب من خلال عملية التنشئة أشخاصاً كباراً يتصفون بالمسؤولية والصحة والقوة ومهيئين لتحمل مسؤوليات والديهم في المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية وكذلك قادرين على ولادة جيل جديد من خلال بناء أسرهم الخاصة بهم. إن لمرحلة الطفولة أهمية كبرى في توافق الطفل وبناء شخصيته في المستقبل. حيث أدرك علماء الاجتماع وعلماء النفس المرضي وعلماء الصحة النفسية أهمية دراسة مشكلات الطفل وعلاجها في سن مبكرة قبل أن تستفحل وتؤدي إلى انحرافات نفسية وضعف في الصحة النفسية في مراحل العمر التالية (Piaget, 1964; Hogan, 1969, 1975; Baumrind,1971; Stayton, Hogan & Ainsworth, 1971; Hogan, 1975; Enriquez, 1984…).

الدراسات السابقة:

لقد تم التأكيد امبريقياً، بأن المعاملة السيئة للأطفال خلال أعمار مبكرة من حياتهم تنتج عنها خسائر معتبرة قد تؤثر على الحياة المستقبلية للطفل مع تشويه نموه النفسي والعاطفي والعقلي. فبعض الباحثين يرون (Garbarino & al, 1991 ; Ney & al, 1994) أن المشكلات التي يسببها تعرض الأطفال للعنف لا تؤثر على صحتهم الجسدية وسلامتهم فحسب، ولكنها كذلك تؤثر على تكيفهم النفسي وعلاقاتهم الاجتماعية وتحصيلهم الأكاديمي.

كما يرى Garbarino & al، أن أثر التعرض للعنف يؤثر على نظرة الأطفال للعالم ونظرتهم لأنفسهم، وكذلك أفكارهم حول المعنى والمغزى من الحياة وتوقعاتهم بالنسبة لسعادتهم المستقبلية ونموهم العقلي. ويضيف نفس الباحثون أن أثر العنف يتجاوز مرحلة التعرض المباشرة

(The immediate aftermath)، وفي بعض الأحيان يحدث بعد سنوات من ذلك، حيث يؤثر على الأشخاص في كبرهم.

كما يرى باحثون آخرون (Finkelhor, 1986; Lewis, 1992; Brown and Rossman and Rosenberg, 1998)، أن سوء المعاملة بالإضافة إلى النتائج النفسية الواسعة المرتبطة بسوء المعاملة الجسدية والجنسية للأطفال، مثل القلق والكآبة والسلوك الانتحاري تزيد من تعرض المراهقين أكثر للخطر والسلوك الهروبي المتمثل في الهروب من البيت. وهذه السلوكات تزيد بدورها من إمكانية حدوث أنواع أخرى من المشكلات الصحية والنفسية.

أما الكاتبان R.M. Youssef & H.Y. Atta، فإنهما يضيفان في كتابهما (Child abuse and neglect: its perception by those who work with children,) بأن الأطفال الذين تعرضوا للإساءة تكون لديهم مشكلات دراسية تتمثل في صعوبة تعلمهم ومشاكل لها علاقة بسلوكهم العام. حيث يتصفون بالكآبة والعزلة أو يكونون عدوانيين جداً أو مشاغبين.

وهذا السلوك عادة ما يندرج تحت ما يسمى بانحراف الأحداث الذي عادة ما يبدأ على شكل الهروب من البيت وينتهي بالطفل إلى التورط في جرائم الأحداث الخطيرة مثل السرقة، اقتحام البيوت، والسطو (Burglary) والاعتداء(agression).

كما اتضح من دراسة ميدانية أجراها عدلي السمري بالقاهرة، تحت عنوان "العنف في الأسرة، تأديب مشروع أم انتهاك محظور(2001)"، والتي شملت عينة عمديه قوامها 200 أسرة، أن الأولاد الذين يشاهدون العنف بين الأبوين من المحتمل أن يمارسوا العنف مستقبلا بصورة أكبر من الأولاد الذين كانوا هدفا لعنف الأبوين. ولكن الأولاد الذين كانوا هدفا للعنف من الأبوين من المحتمل أن يصبحوا أكثر عنفا عندما يكبرون أكثر من الأولاد الذين كانوا مجرد مشاهدين للعنف بين الزوجين (22).

كما صرّح Sears, Mac Coby & Levy (1957) من خلال دراستهم، أن درجة تحكم الآباء كانت عالية ومرتبطة سلباً بعدوانية أطفال ما قبل سن التمدرس في الحالات التي نادراً ما لا يعاقب فيها الوالدان السلوكات العدوانية لأطفالهم. لذلك، فإنهم يرون بكل بساطة، بأن معاقبة العدوانية يمكن أن تعطي نتائج عكسية، لأنه بالمعاقبة، يكون الوالدان بصدد نمذجة العدوانية (تكوين نموذج عدواني).

وتعزيزاً لهذه النتائج، فإن مراجعة الأدبيات التي قام بها Oliver, 1993; Kaufman and Ziegler, 1987، تقترح بأن ثلث الأطفال ضحايا سوء المعاملة تقريبا يصبحون آباء يمارسون سوء المعاملة والإهمال ضد أطفالهم. حيث يذكر الباحثان، بأن هناك 30% من الأشخاص الذين تعرضوا لسوء المعاملة الجسدية والجنسية والإهمال عندما كانوا أطفالاً أصبحوا يسيئون معاملة أطفالهم عند كبرهم. وهذا مقابل 5% فقط من الذين لم يتعرضوا لسوء المعاملة في صغرهم.

وبعد استعراض أهم النظريات والدراسات ذات العلاقة بالاضطرابات النفسية والسلوكية لدى الأطفال عامة والمراهقين خاصة. وبناء على ما تمت مناقشته آنفا، فإنه من الأهمية بمكان تقديم دراسة الحالات التي تمت معالجتها في العمل الميداني.

نماذج للسلوك المنحرف:

لقد تم اختيار سبع حالات بإتباع مبدأ المعاينة القصدية ضمن مجموعة تلاميذ السنة الأولى والسنة الثانية من التعليم الثانوي (بثانوية وادي القبة، بمدينة عنابة) الذين يتسمون بالعدوانية أو ضعف التحصيل الدراسي أو ظهور مشاعر الانسحاب والتقوقع أو التشاؤم واليأس والحزن، وذلك حسب وجهة نظر هيئة التدريس أو مستشار التربية.

وبعد انتقاء أفراد عينة الدراسة من مجتمع يتكون من عشرين تلميذا وتلميذة يتميزون بعدم الاستقرار الأسري وعدم احترام القوانين الداخلية للمؤسسة أو يتسمون بالأعراض المذكورة أعلاه، تم اختيار الأطفال: أمين، وسليم، وفاطمة، وياسر وسامية.

أدوات جمع البيانات:

اعتمدنا في هذه الدراسة بشكل أساسي على جدول صمم لجمع البيانات لعينة الأطفال. وقد تضمن الجدول مجموعة من التساؤلات، بحيث غطى كل تساؤل منها عنصرا من عناصر الموضوع كما يلي:

- البيانات الشخصية والاجتماعية للطفل وأسرته.
- بيانات حول العلاقات الأسرية.
- بيانات حول تحصيل الطفل المدرسي وحالته الصحية والنفسية والسلوكية.
- بيانات حول ردود أفعال الطفل عندما يقوم ولي أمره بتصرفات عنيفة معه.
- بيانات حول علاقة الطفل بوالديه، وزملائه ومعلميه.

وقد أتاحت لنا المقابلة الفرصة لملاحظة سلوك هذه الحالات وهي تتفاعل مع المعلم والزملاء. كما أنه من الأهمية بمكان أن نوضح كذلك، أن البيانات قد سجلت بطريقة فورية أثناء عملية مقابلة كل مفردة على حدا بواسطة مسجلة الصوت.

نتائج العمل الميداني

إن الدراسات الوصفية للحالة المعاشة ودراسة الحالة والشهادات المباشرة حول سوء المعاملة تعطي صورة حقيقية عن الآثار التي يخلفها العقاب الجسدي والعقاب المعنوي على نفس وسلوك الطفل ونمو شخصيته.

1- **حالة أمين**: تتألف أسرة أمين من أربعة أطفال، وهو الطفل الأصغر. سنه سبعة عشر سنة وهو تلميذ في السنة الثانية ثانوي. يرجع السبب في سلوك أبي أمين العنيف إلى إدمانه على الحبوب المخدرة. فكلما تنقصه المادة المخدرة ينشب شجار حاد بينه وبين زوجته ينهال عليها ضربا. عندئذ، يعلو صراخها من الألم. أصبح أمين مضطربا لأنه يخاف على أمن وسلامة أمه. فهو يخشى إصابتها كالعادة بجروح بالغة الخطورة. ينعزل في غرفته خوفا من الاصطدام بأبيه وإثارة غضبه ببكائه. فعادة ما ينتاب أمين الشعور بالحزن واليأس. كما ضعف تحصيله الدراسي. فضلا عن سوء علاقته بمعلميه وأقرانه في الفصل. يتشاجر أمين دوما مع أبناء الجيران الذين يطلقون على أبيه أسماء قبيحة تسبب له إحراجا. اتضح من خلال اتصال المعلم بأمه أن أمين والد ينهال على ابنه ضربا وشتما كلما تدخل للدفاع عنها. هذه الظروف جعلت أمين لا يشارك في القسم ولا يحاول الانتباه. كما يتوقع له الطرد النهائي في نهاية السنة.

2- **حالة سليم**: يدرس سليم في السنة الأولى ثانوي وهو في السادسة عشر من العمر. تحصيله ضعيف جدا، ولكن المعلمين يتعاطفون معه لأن أمه متوفية وأبوه عنيف وعصبي. يعرف الجميع أن أب سليم يتعاطى الكحول وأنه يميل إلى الصراح والشجار مع الجيران. أصبح سليم يتعمد الغياب عن الدراسة، إذ أنه لا يستوعب أية مادة ويمضي وقته مع رفاق السوء. يتعاطى سليم الكحول والمخدرات ولما ينقصه المال لشراء هذه المواد التي تسمح له بنسيان همومه والاسترخاء بعض الوقت، يقوم بأفعال النشل والسرقة مع شلة الرفاق. كما يكثر سليم الشجار مع المنحرفين أمثاله وأطفال الشوارع لأتفه الأسباب. يعامله والده بقسوة، كما يعاقبه بالضرب والسب والشتم والإهانة لأتفه الأسباب على مرأى من إخوته وأطفال الجيران. ولا يسمح له

بالدخول إلي البيت لمدة أسابيع. دخل سليم السجن عدة مرات بسبب السرقة والاعتداء علي الغير. يشعر سليم بالدونية والكآبة والحزن الشديد، ويتحلى بالسلوك الانتحاري.

3- **حالة فاطمة:** تدرس فاطمة بالسنة أولى، حيث بدأت معاناتها بعد انفصال والديها وزيادة الضغوط النفسية عليها. فصارت مكلفة بأعباء المنزل من غسيل وطهي كما أنخفض تحصيلها الدراسي. كانت فاطمة في السادسة عشر من عمرها لما أصبحت بمثابة "الخادمة" في البيت. لكن هذا الوضع لم يكن كاف لإرضاء والدها الذي كان يستفزها في كل الأوقات ويضربها لأتفه الأسباب ويقارنها بوالدتها الفاشلة وعديمة الشخصية. ترى فاطمة نفسها أقل قيمة وذكاء وجاذبية من البنات في سنها. حاولت الانتحار أكثر من مرة، لكن تم إنقاذها في كل محاولة. ولا ينفك يراود فاطمة الشعور بالغضب الداخلي، فينتابها الإحساس بالنفور والكراهية تجاه والدها سيئ الطباع والعنيف.

4- **حالة ياسر**: ياسر تلميذ في الخامسة عشر من عمره، وهو الولد الأصغر في العائلة وله ثلاث أخوات. أبو ياسر عصبي ومتشدد، لذا يعاني ياسر من حرمان عاطفي؛ حيث يشعر بأنه غير مرغوب فيه من قبل والديه. ولا يجد راحته إلا خارج بيت أهله. حيث يذهب إلي بيت جده، كلما أتيحت له الفرصة ليدرس ويمارس الكمبيوتر بإفراط. حذرت الخالات أمه من انحراف ابنها عن طريق التحدث مع البنات عبر الإنترنيت والهاتف النقال والإفراط في مشاهدة الأفلام الخليعة، خاصة وأن جدته مسنة ولا تستطيع مراقبة كل حركاته. ازداد وزن ياسر كثيرا لأنه يمضي وقتا طويلا أمام شاشة التلفزيون أو الكمبيوتر وهو يتناول الطعام. يقول ياسر أنه يريد أن يكون قبيحا وغبيا.

5- **حالة سامية**: إن سامية في السنة الثانية ثانوي وعمرها سبعة عشر عاما. تعيش في أسرة تتكون من ثلاثة بنات وذكر. إنها البنت الثانية وتحصيلها الدراسي ممتاز. يعمل أبوها في شركة مرموقة في الجنوب الجزائري. تحمل أمها الجنسية التونسية لكنها ماكثة في البيت ولا تخرج أبدا بدون رفقة الوالدين. ولأن زوجته وبناته جميلات، فإن الزوج يغار عليهن إلي درجة أنه يكلمهن عبر الهاتف في أي ساعة من النهار أو الليل للاستفسار عن مكان وجودهن. وعند رجوعه إلي المنزل أثناء العطلة الشهرية، فإنه يراقب أي تغير في البيت. وإذا لاحظ أي شيء مشبوه، ينتابه الشعور بالغضب الشديد، فيعلو صوته ويحطم الأواني. أصبحت سامية تتمني عدم رجوعه بتاتا إلي البيت بسبب الخوف والذعر والفزع الذي يثيره في كل مرة.

وبعد استعراض بعض النماذج لأنواع الاضطرابات النفسية والسلوكية المرضية، يجدر بنا مناقشة نتائج الدراسة الميدانية.

مناقشة نتائج العمل الميداني:

فبينما لاحظنا وجود نوع من الاضطراب والتوتر والشعور بالحزن الشديد واليأس والإحباط والكآبة والدونية عند جميع أفراد العينة، فإن كل من فاطمة وسليم يشعران بالنقص إلى حد العدوانية لأتفه الأسباب أو الشعور بالرغبة في الانتقام أو الانتحار. وبينما يشعر كل من سامية وأمين بالرغبة في الهروب من الجو الأسري السيئ، حيث أنهما مهددان بالانحراف، فإن كل من ياسر وسليم وفاطمة يتسمون باضطراب نفسي شديد، الأمر الذي يؤدي بهم إلي الإفراط في الأكل أو مشاهدة الأفلام المخلة بالحياء. أما أمين وسليم فيفضلان الاختلاط برفاق السوء للهروب من الأجواء الأسرية المضطربة.

ومن ثم يتبين من الحالات السابقة، أن الطفل الذي يعيش في أجواء متوترة وسلبية، ينتابه الشعور بالدونية وفقدان الثقة في النفس وعدم الرضا فيصيبه الإحساس بالخوف والغضب الداخلي

والحزن الشديد. فهناك احتمال كبير أن يهمل دراسته إلى حد الرسوب المدرسي. كما أنه من المحتمل جداً أن يصبح سلوكه إنسحابيا أو هروبيا أو انتحاريا أو إنحرافيا.

والجدول (1) يبين بوضوح الأعراض النفسية والسلوكية المرضية التي تعاني منها كل مفردة من مفردات عينة الدراسة.

الجدول رقم 01: الأعراض النفسية والسلوكية المرضية لدى مفردات عينة الدراسة

السلوكيات المشتركة	أمين	سليم	فاطمة	ياسر	سامية	%
السلوك الهروبي، الانسحابي، الانتحاري أو الانحرافي	✓	✓	✓	✓	✓	.100
الشعور بالخوف من المستقبل، الغضب الداخلي أو الحزن الشديد	✓	✓	✓	✓	✓	.100
ضعف التحصيل الدراسي أو الرسوب المدرسي	✓	✓	✓	✓		.80
فقدان الثقة في النفس، الشعور بالدونية وعدم الرضا	✓	✓	✓	✓	✓	.100
الاختلاط برفاق السوء، الإدمان على الكحول أو المخدرات	✓	✓				.40
الإفراط في مشاهدة الأفلام الجنسية		✓		✓		.40
الإفراط في الأكل أو فقدان الشهية			✓			.20
الانزواء والانعزال	✓	✓		✓	✓	.80

وبناء علي تقديرنا لصحة الطفل النفسية بالاعتماد على دراسة سلوكه ومظاهر حياته العاطفية والأسرية والاجتماعية، وبعد تعرفنا على أشكال الاضطرابات النفسية والانحرافات السلوكية التي تعاني منها كل حالة، يمكن القول أن الأسباب والعوامل التي تدفع الطفل في سن المراهقة إلى الشعور بالإحباط والكآبة، أو الغضب والحزن أو غيرها من الأعراض المرضية المختلفة ترجع إلى التشدد في التعامل معه في مراحل الطفولة والمراهقة.

ومهما كانت هذه الأسباب مرتبطة بشخصية ولي أمر الطفل العنيفة أو سوء المعاملة أو عنف عاطفي أو غير ذلك من شعور بالنقص والدونية والحرمان والاستغلال من طرف الوالدين فالنتيجة واحدة. إن كل تلميذ أو تلميذة في عينة الدراسة، تعيش في أجواء سلبية ومضطربة يغيب فيها مبدأ اللين والعطف والمودة والحوار والتواصل. فجميع مفردات العينة مهما اختلفت معاناتهم وظروفهم المعيشية يعانون من اضطراب نفسي وسلوكي واضطراب في نمو شخصيتهم.

فالعوامل المتمثلة في القسوة والتعصب والإساءة الجسدية والمعنوية أو العنف العاطفي أو التعسفي تجعل الطفل يمَر بحالة اكتئاب شديد وغضب داخلي وعصبية مفرطة فينتابه الإحساس بالقلق واليأس والكآبة والخوف الشديد من المستقبل الذي يصبح غامضا ومخيفا بالنسبة إليه. فتكون أمنيته الوحيدة هي الابتعاد عن هذه الأجواء السيئة.

هذه الظروف المعيشية الخالية من علاقات الحب والعطف والاستقرار تؤدي بحياة الأطفال إلى حرمانهم من أبسط الحقوق. أي العيش في مكان آمن وهادئ ومستقر. وفي هذه الظروف المُزرية، تتمزق نفسيتهم. فبينما يضطر البعض إلى الاختلاط برفاق السوء أو الهروب للشارع بحثا عن السكينة والراحة النفسية الضرورية لبقائهم، فالبعض الآخر يفضل نسيان الهموم والمعانات بالانزواء في مكان هادئ يوفر لهم الراحة النفسية والطمأنينة.

الخاتمة:

لقد تبين من دراسة الحالة والدراسات والبحوث النظرية والميدانية والأدبيات التي عالجت موضوع الاضطرابات النفسية والسلوكية المرتبطة بتعرض الطفل للعنف العاطفي أو المعنوي أو التعسفي وسوء المعاملة، أن الطفل أو المراهق الذي يمر بحالة نفسية أو اضطراب عاطفي بسبب

إحباط وتوتر وقلق أو اكتئاب نتيجة ظروف أسرية أو عاطفية، قد يسقط تلك التربية الخاطئة التي ترعرع فيها في صغره على والديه وأخوانه في البيت وأصدقائه في الحي والمدرسة.

وأخيرا، إن ضرب الطفل وخاصة المراهق وإهانته أمام الآخرين، يعلمه الطاعة العمياء بدلا من المناقشة وتقبل الأخطاء عن اقتناع فيعطي نموذجا سيئا للإقتداء. حيث يصبح الطفل يعبّر عن مشاعره بنفس الأسلوب الذي تعلمه في الصغر.

الهوامش:

1. (www.sntp.net).
2. د. أحمد فائق، 2003، ص35.
3. نفس المرجع، ص40.
4. نفس المرجع.
5. أ.د محمد عودة الريماوى، 2004، ص27.
6. Baron, 1998, P3
7. د. أحمد فائق، 2003، ص40.
8. أ.د محمد عودة الريماوى، 2004، ص28.
9. أ.د عبد الرحمن عدس وأ.د محي الدين توق، 1997، ص35.
10. نفس المرجع، ص37.
11. نفس المرجع، ص30.
12. نفس المرجع، ص31.
13. نفس المرجع، ص37.
14. على المكاوي، د.عبد الله لؤلؤ، علم الاجتماع الطبي: الأبعاد النظرية والخبرات الميدانية، دار الصحابة للطباعة والنشر، 1991.
15. علي المكاوي، مرجع سبق ذكره.
16. محمد عاطف غيث: مدخل إلى علم الاجتماع، ط4، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، 1988، ص374.
17. نفس المرجع.
18. خوج عبد السلام، الأسرة العربية ودورها في الوقاية من الجريمة والانحراف، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض، 1409م، ص92.
19- Harry F. Harlow, in Lloyd and Mack Pease, Sociology and social life, 6th Ed, D. Van Nostrand Company, NY, 1979, PP140-142.
20- Peter l. Berger, Invitation to Sociology: A humanistic perspective, NY, Doubleday, 1963, P121.
21- Lloyd /Mack/ Pease, P145.
22- د. عدلى السمرى، العنف في الأسرة – تأديب مشروع أم انتهاك محظور، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2001، ص197.

المراجع:

أ.د أحمد فائق، مدخل عام لعلم النفس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2003.

أ.د أحمد محمد عبد الخالق وآخرون، علم النفس العام – الأسس – المبادئ والأصول، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005.

أ.د عبد الرحمن عدس وأ.د محي الدين توق، المدخل إلى علم النفس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، عمان، 1997.

أ.د محمد عودة الريماوي وآخرون، علم النفس العام، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2004.

Alfred Adler (1930), L'enfant difficile. Technique de la psychologie individuelle comparée. Traduction française de l'Allemand par le Dr. Herbert Schaffer, 1949. Paris: Éditions Payot, 1962, 214 pages.

Bandura A. (1986). Social foundation of thought and action. A social cognitive theory, Englewood cliffs, NJ Prince-hall.

Baron, Robert A. (1998). Psychology 4th ed. Allyn & Bacon, Boston.

Barlow D. H & Durand V. M (1995). Abnormal psychology, An integrative approach, Brooks/Cole, New York.

Baumrind, D, 1973, in M.E. Lamb, Social and personality development, by Holt, Rinehart and Winston, USA, 1978, P54.

Beatrice and John Whiting (1963 – 1975), Six cultures: studies of child rearing in M. E. Lamb, social and Personality development, Holt Rinehart and Winston, USA, 1978, P165.

Beck A. T (1976). Cognitive theory of emotional disorders, New America Library, New York.

Beck A. T (1979). Cognitive theory of depression, Guiford Press, New York.

Beck A. T & clerk D. A (1988). Anxiety and depression – An information processing perspective, Anxiety research1, 26-36.

Bender David and Bruno Leone, series editors, child abuse – opposing viewpoints, Green haven Press, Inc, San Diego, Ca, 1994, P115.

Biederman J., Fara One S., Mick E. (2001).Attention deficit hyperactivity disorders and problems in peer relations: Prediction from childhood to adolescence, Psychiatry, 40: 1285.

Carl Gustav Jung, Psychologie et alchimie, Paris, Buchet Chastel, coll. « Documents », 2004 (ISBN 978-2283020357).

Cassem E. H. (1990). Depression and Anxiety secondary to medical Illness. Psychiatry Clin North Am 13. 597.

Cooley, C H, Human nature and social order, Glencoe, ill: The Free Press, 1956.

Cooley C, Child maltreatment: Testing the social isolation hypothesis, Child abuse and neglect, 1996, 20(3): 241 – 54.

Coser, L.A. The Functions of social conflicts, New York: Free Press, "Violence and the social structure." Science and Psychoanalysis 6:30-42, 1956, 1963. Reprinted in S. Endleman (ed.), Violence in the streets. Chicago: Quadrangle Paperbacks, 1970.

Coser, L.A. Continuities in the study of social conflicts. New York: Free Press, 1967.

Dorothey Dean, Emotional abuse of children, Child today, San Diego, Ca, July – August, 1979, PP18-21.

Elaine Landau, Many factors contribute to child abuse in D. bender and B. Leone, Series Ed, Green Hav Press, Inc, P115, 1994.

Enriquez M, Aux carrefours de la haine, Paris, Epi, 1984.

Fontana and Moolman, A violent society causes child abuse in David bender & Bruno Leone, child abuse, Green haven press, San Diego, 1994, P101.

Gayla Margolin, The effects of family and community violence on children, Annual Review of Psychology: the effects of family and community, 2001, PP1–32.

Gelles Richard J, The violent home, Beverly Hills, London: Sage Publications, 1972.

Katherine Schlaerth, Discourage corporal punishment in David Bender and Bruno Leone, child abuse, green Haven Press, San Diego, 1994, P252.

Klohnen, E.C & Lou Shanhong (2003). Journal of personality & social psychology. Vol. 85. No.4.

M.E. Lamb and Diana Baumrind, Socialization and personality development in the preschool years in M.E. Lamb, Social and personality development, By holt, Rinehart & Winston, USA, 1978, PP209-212.

Lewinsoha P.M. (1974). A behavioral approach to depression, in R. J. Friedman & Mm. Katz (Eds).

Santrock john w. (2003). Psychology7, Mc Graw. Hill Companies. Inc. Boston.

Sigmund Freud (trad. Serge Jankélévitch), Cinq leçons sur la psychanalyse: Contributions à l'histoire du mouvement psychanalytique, Payot, coll. « Petite bibliothèque Payot », 1966 (ISBN 2-228-88126-0), p. 69-149.

Warre R. & Zgourides G.D. (1991). Anxiety disorders: Rational-Emotive. Perspective, Pergamon Press, New York.

(www.sntp.net).

****